الفروق الدلالية بين المعاني المتقاربة الواردة في سياق واحد في القرآن الكريم

Semantic differences between similar meanings contained in one context in the Holy Qur’an

أ.م.د. صلاح كاظم داوود

Asst. prof. Dr. Salah Kazem Daoud

الجامعة المستنصرية/ كلية التربية

Al-Mustansiriya University/College of Education

الكلمات المفتاحية: الفروق الدلالية، القرآن الكريم، الدلالة.

Key words: Semantic differences، the Holy Qur'an، semantics.

الملخص:

عُنيَ البَحثُ بالألفاظ التي دَلَّت على معانٍ مُتقارِبة وردت في سياق واحد في القرآن الكريم.

فكان عنوان بحثنا: (الفروق الدلالية بين المعاني المتقاربة الواردة في سياق واحد في القرآن الكريم).

ومن هذه الألفاظ: الوهن والضعف والاستكانة، والرأفة والرحمة، والنسب والصهر، وغير ذلك.

تتبّع البحث هذه الألفاظ في المعجمات وكتب التفسير ليقف على معانيها العامّة، ثمَّ يكشف عن الفروق الدلالية الدقيقة بين كل زوج من هذه الألفاظ.

وأكَّد البحث النتيجة التي تفيد أنَّ الاستعمال القرآني قد بلغ الغاية في وضع الألفاظ في موضعها الصحيح بحسب ما يقتضيه معنى الآية الكريمة مراعيًا الفروق الدلالية بين كل لفظين من هذه الألفاظ، والحمد لله رب العالمين.

Abstract:

The research is concerned with studying the kind of articulations that indicated similar meanings and appeared in one context in the Holy Qur'an.

So our research was entitled: (The Semantic Differences between the Convergent Meanings Contained in One Context in the Holy Qur’an)

Our research focused on studying articulations such as feebleness، weakness and surrender، compassion and mercy، kindred by blood، kindred by marriage، ETC.

It looked up these articulations in dictionaries and interpretation books to find out their general meanings، and then reveals the subtle semantic differences between each pair of them.

It confirmed the result that the Qur’anic usage has achieved the goal of placing the words in their correct place according to what is required by the meaning of the noble verse، while taking into account the semantic differences between each of these two articulations. Finally، Praise Be to Allah، Lord of the World.

المُقَدِّمَةُ

الحمد لله ربِ العالمينَ، والصلاة والسلامُ على محمَّدٍ وآله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين..

أما بعدُ: فما يزال البحثُ في الدلالة القرآنية يكشف لنا عن دقة الاستعمال القرآني في وضع الألفاظ بحسب ما يقتضيه سياقها فجاء بحثُنا: (الفروق الدلالية بين المعاني المتقاربة الواردة في سياق واحد في القرآن الكريم) ليُؤكد هذه الحقيقة.

اهتمّ البَحْثُ بالألفاظ التي تدلُّ على معانٍ متقاربة وقد وردت في سياق واحد في القرآن الكريم، وذلك يدلُّ على أنَّ كلّ لفظ من هذه الألفاظ يدل على معنى مغاير للّذي يدلّ عليه اللفظ الآخر. من ذلك: (الوَهَن) و(الضَّعْف) و(الاستكانة) و(الرّأفة) و(الرحمة) و(النَّسَب) و(الصِّهْر) وغير ذلك.

ويُلحَظ أنَّ كلّ لفظين أو ثلاث من هذه الألفاظ يدلُّ على معنى عام ثمَّ يأتي السياق القرآني ليمنح كلّ لفظ معنى خاص به بحسب ما يقتضيه الاستعمال القرآني.

قام البحثُ على عرض الألفاظ على المعجم أوّلًا، وبيان موقف أصحاب المعجمات منها، ثمَّ الانتقال إلى كتب التفسير لبيان الفروق الدلالية بين كل زوج من هذه الألفاظ.

وختامًا أسأل الله القدير أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم ومتقبّلًا عنده إنَّهُ سميعٌ مُجيبٌ، وآخرُ دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الوهن والضّعف والاستكانة:

أوردت كتب اللغة هذه الألفاظ مفسّرةً إياها بالضّعف من دون أن تُعنى كثيرًا بالفروق الدقيقة بينها، ولعلَّ ذلك يرجع إلى وضوحها عندهم، أو لأنَّ هذه الفروق مقصورة على النص القرآني الذي وردت فيه هذه الألفاظ مجتمعة.

فأمّا الوَهَنُ: فقد ذكرت كتب اللغة أنَّهُ يعني: الضَّعْفُ في العمل وفي الأشياء، وكذلك في العَظْم ونحوه، وقد وَهَنَ العَظْم يَهِنُ وَهْناً وأَوْهَنَه يُوهِنُه، ورجلٌ واهنٌ في الأمر والعمل، ومَوْهونٌ في العظم والبَدَن، قال الشاعر:

وما إنْ على قلبِهِ غَمْرةٌ... وما إنْ بَعظْمٍ له من وَهَنْ

وقال الآخر:

نحن الّذين إذا ما أُرْبَةٌ نزلت... لم تلق في عظمنا وهناً ولا رققا[1]

وأمّا الضَّعْفُ فمعروف، ويكتفي أصحاب المعجمات بتفسيره أنَّهُ خلاف القوّة[2].

وأمّا الاستكانةُ فهي: الخضوعُ، افتعل من السكون كَانَ فِي الأَصل فَمَا استَكَنُوا فَمُدَّتْ فَتْحَةُ الْكَافِ بأَلف كَقَوْلِ الشاعر:

لَهَا مَتْنتان خَظاتا، أَراد خَظَتا فَمَدَّ فَتْحَةَ الظَّاءِ بأَلف.

وقول الآخر:

يَنْباعُ مِنْ ذِفْرَى غَضُوب

أَي يَنْبَع يقال: استكان واستكن وأسكن وَتَمَسْكَنَ إذا خضع، وقيل: استكان استفعل من السكينة[3].

هذا هو المعنى العامّ للألفاظ الثلاثة، وهو الضَعف، ولكن هذه الألفاظ اكتسبت معانيَ جديدة في التنزيل العزيز فأصبحت تدل على معانٍ أدق من تلك التي كانت تدل عليها في اللغة، يتبيّن ذلك جليًّا في قوله تعالى: [وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ] (آل عمران: 146).

اختلف المفسّرون في تفسير الوهن والضّعف والاستكانة الواردة في الآية الكريمة على مذاهب، أولها: مَا وَهَنُوا عِنْدَ قَتْلِ النَّبِيِّ وَمَا ضَعُفُوا عَنِ الْجِهَادِ بَعْدَهُ وَمَا اسْتَكَانُوا لِلْعَدُوِّ، وَهَذَا تَعْرِيضٌ بِمَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْوَهْنِ وَالِانْكِسَارِ، عِنْدَ الْإِرْجَافِ بِقَتْلِ رَسُولِهِمْ، وَبِضَعْفِهِمْ عِنْدَ ذَلِكَ عَنْ مُجَاهَدَةِ الْمُشْرِكِينَ، وَاسْتِكَانَتِهِمْ لِلْكُفَّارِ حَتَّى أَرَادُوا أَنْ يَعْتَضِدُوا بِالْمُنَافِقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ، وَطَلَبِ الْأَمَانِ مِنْ أَبِي سُفْيَانَ وَما كانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا هذا القول وهو إضافة الذنوب والإسراف إلى أنفسهم مع كونهم ربانيين، هضما لها واستقصارًا[4].

والذي يضعّف هذا الرأي أنَّ الآية الكريمة جاءت بمعرض المدح لأولئك الربّانيّين الذين يصبرون مع الأنبياء فلا يضعفون عند مقارعة الأعداء، وهي مصداق على كل جماعة يثبتون مع نبيهم في الحرب وغيرها حتى من سالف الأمم[5]، يدلُّ على ذلك أنَّ القرآن الكريم وصف أولئك الأتباع بالـ(الربّانيّين) وهو وصف يدل على المدح لا الذم والله أعلم.

الرأي الثاني: أنَّ الله سبحانه وتعالى جَمَعَ بين الوَهْنِ والضَّعْفِ؛ لأن (الوَهْنَ): انكسارُ الحَدِّ بالخوف). و(الضَّعْفُ): نُقْصانِ القوة. أي: لم يَهِنُوا بالخوف، ولا ضَعُفُوا بنُقْصان القُوَّة.): بمعنى أنّهم ما جَبُنُوا عن قِتَال عَدُوّهم، وَمَا فَتَرُوا وقوله تعالى: "وَمَا اسْتَكَانُوا" الاسْتِكَانَةُ: الخُضُوعُ. وهو أنْ يَسْكنُ لصاحِبِهِ، لِيَفْعَلَ بِهِ ما يريد؛ أي: وما خضعوا لِعَدُوّهم[6].

ويُلحَظ في هذا الرأي أنَّهُ يقوم على تلمّس العلاقة بين معاني الألفاظ اللغويّة وبين معناها في السياق القرآني، وهذا يجعله على درجة طيّبة من القبول.

وأما الرأي الثالث فخلاصته: أَنَّ الْوَهْنَ ضَعْفٌ يَلْحَقُ الْقَلْبَ. وَالضَّعْفُ الْمُطْلَقُ هُوَ اخْتِلَالُ الْقُوَّةِ وَالْقُدْرَةِ بِالْجِسْمِ، وَالِاسْتِكَانَةُ هِيَ إِظْهَارُ ذَلِكَ الْعَجْزِ وَذَلِكَ الضَّعْفِ[7].

يُفاد من هذا الرأي أن الضَّعفَ نتيجة للوَهَن، والاستكانة نتيجة لهما، وهو قريب من الرأي الثاني.

وبهذا تتّضح لنا دقّة الاستعمال القرآن في وضع الألفاظ في موضعها الصحيح فتبارك الله رب القرآن العظيم.

الصِّهر والنَّسَب

تجتمع هاتان اللفظتان بدلالة على القرابة، ولكن ثمة فرق بينهما على نحو ما سيأتي.

فأمّا النَّسَبُ فيُقال فيه: النِّسْبَةُ والنُّسْبَةُ والنَّسَبُ القَرابةُ وقيلَ هو في الآباءِ خاصَّةً ويُقال: وفلان يناسب فلاناً فهو نسيبُه، أي قريبه[8].

وأمّا الصِّهرُ فإنَّهُ يدلُّ أيضًا على أصلين، أحدهما: القرابة، ومنه: حُرْمة الخُتُونة. وخَتَن القومِ: صِهْرُهم، والمُتَزَوِّج فيهم: أصهار، ولا يُقالُ لأَهْلِ بيت الخَتَن إلاّ أَخْتانٌ، ولأهل بيت المرأة إلاّ أَصْهارٌ. وَمِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَجْعَلُهُمْ أَصْهَارًا كُلَّهُمْ. قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: الْإِصْهَارُ: التَّحَرُّمُ بِجِوَارٍ أَوْ نَسَبٍ أَوْ تَزَوُّجٍ. وَفِي كُلِّ ذَلِكَ يُتَأَوَّلُ قَوْلُ الْقَائِلِ:

قَوْدُ الْجِيَادِ وَإِصْهَارُ الْمُلُوكِ وَصَبْ... رٌ فِي مُوَاطِنَ لَوْ كَانُوا بِهَا سَئِمُوا

وَالْآخِرُ الإِذَابَةُ، والصُّهارَةُ: ما ذاب منهُ، وكذلك: الإصْهار في إذابتِه، وأَكْل صُهارتِه، و يُقَالُ: صَهَرَتْهُ الشَّمْسُ، كَأَنَّهَا أَذَابَتْهُ.

يُقَالُ ذَلِكَ لِلْحِرْبَاءِ إِذَا تَلَأْلَأَ ظَهْرُهُ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ. وَيُقَالُ: إِنَّهُمْ يَقُولُونَ: لَأَصْهَرَنَّهُ بِيَمِينٍ مُرَّةٍ. كَأَنَّهُ قَالَ: لَأُذِيبَنَّهُ.[9]

ويمكن أن نتلمّس الارتباط بين هذين الأصلين، ذلك أنَّ الرّجُلَ إذا تزوّج من قومٍ فكأنّهُ صار جزءًا منهم فكأنّهُ ذابَ فيهم.

ويُلحظ ممّا تقدّم أنَّ اللغويين فَطِنوا منذ وقت مُبَكّر إلى الفرق بين الصِّهر والنَسَب، وقد اتّخذ هذا الفرق وِجهتين الأولى لغوية والأخرى فقهية وسأُعنى بالوجهة اللغوية فقط تجنّبًا للإطالة.

اجتمعت هاتان اللفظتان في سياق واحد في القرآن الكريم، وهذا الاجتماع يؤكّد أنَّ هناك فرقًا دلاليًّا واضحًا بينهما وذلك الفرق هو الذي سوّغ اجتماعهما في سياق واحد وهو قوله تعالى:[وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا](الفرقان: 54)

اختلف العلماء في معنى اللفظتين، فرأى بعضهم أنَّ ؛ النَّسَبُ وَالصِّهْرُ مَعْنَيَانِ يَعُمَّانِ كُلَّ قُرْبَى تَكُونُ بَيْنَ آدَمِيَّيْنِ، فـ"النسب" هو أن يجتمع إنسان مع آخر في أبّ أو في أمّ قرب ذلك أو بعد، و"الصهر" تواشج المناكحة[10].

ويُلحظ أنَّ هذا الرأي يؤكّد على المعنى الجامع الذي تدل عليه اللفظتان من دون أن يعنى كثيرًا بمعناهما في السياق الذي وردتا فيه.

ونُقل عن ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: أَنَّ الْأَخْتَانَ أبو المرأة وأخوها وَعَمُّهَا، وَالصِّهْرُ زَوْجُ ابْنَةِ الرَّجُلِ وَأَخُوهُ وَأَبُوهُ وَعَمُّهُ[11].

وقال آخر: أَخْتَانُ الرَّجُلِ أَزْوَاجُ بَنَاتِهِ وَأَخَوَاتِهِ وَعَمَّاتِهِ وَخَالَاتِهِ، وَكُلِّ ذَاتِ مَحْرَمٍ مِنْهُ، وَأَصْهَارُهُ كُلُّ ذِي رَحِمٍ مَحْرَمٍ مِنْ زَوْجَتِهِ [12].

وأكّد ابن عطية الرأي السابق فنقل أن (النسب) من جهة البنين (والصهر) من جهة البنات[13].

وذهب الفرّاء إلى ما يشبه الآراء المتقدمّة فذكر أنَّ النسب ما لا يحل نكاحه، والصّهر ما يحل نكاحه كبنات العم والخال وأشباههن من القراب[14].

ويبدو أنَّ هذا الرأي هو الذي بنى عليه أكثر المفسرين واللغويين[15].

ووجود هذا الفرق يؤكّد دقة الاستعمال القرآني في وضع الألفاظ في موضعها المناسب لها، فتبارك الله أحسن الخالقين.

الحياة والنشور

تشترك هاتان اللفظتان بالدلالة على الحياة، ولكن ثمة فرقًا بينهما، فالحياة تدل على هذا المعنى بصورة مطلقة، والنشور تدلّ عليه بقيود سنذكرها.

فأمّا الحياة (لغة): فضد الموت، وقيل: يسمى المطر حياة ؛ لأنّ به حياة الأرض [16].

وأما النشور فيدل على فتح الشيء وتشعبّه، والنشَّرُ: الريح الطيّبة ، والنشور: الحياة بعد الموت[17].

ولو تأمّلنا الاستعمال القرآني لهذه اللفظة بكل اشتقاقتها؛ لرأينا أنها تدلّ على الحياة بعد الموت بصورة خاصة.

من ذلك قوله تعالى: [ثُمَّ إِذا شاءَ أَنْشَرَهُ](عبس/ 22)، وقوله تعالى: [فَأَنْشَرْنا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً](الزخرف / 11)، وقوله تعالى: [وَإِلَيْهِ النُّشُورُ] (الملك/ 15).

فضلًا عن ذلك فإننا نجد ثمة تلازمًا بين دلالة النشور على الحياة بعد الموت، وبين النشر الذي هو خلاف الطي، وذلك أنَّ الموت يطوي العظام وَالْأَعْضَاءِ، والْإِحْيَاءَ يَجْمَع الْأَعْضَاءَ بَعْضِهَا إِلَى بَعْضٍ وبذلك يحصل النشور [18].

وردت لفظتا الحياة والنشور مجتمعتين في القرآن الكريم في قوله تعالى:

[وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آَلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا](الفرقان: 3).

لم يختلف المفسرون في تفسير معنى الحياة والنشور، قالوا في تفسير الآية الكريمة، النشور: الحياة بعد الموت، والمعنى: كيف يعبدون مَن لا يستطيعون إماتةً ولا حياةً ولا إعادةً بعد الموت[19].

والآية الكريمة تدل على البعث؛ لأن الله تعالى ذكر النشور ومعناه أن المعبود يجب أن يكون قادراً على إيصال الثواب إلى المطيعين والعقاب إلى العصاة، فمن لا يكن كذلك وجب أن لا يصلح للإلهية[20].

يدلّ اجتماع لفظتي الحياة والنشور في سياق واحد على وجود الفرق الدلالي بينهما، فالحياة أريدَ بها في الآية الكريمة: الإحياء في الحياة الدنيا، والنشور أريد بها: الإحياء في الآخرة، وكأنَّ الله سبحانه وتعالى يروم إظهار عجز الآلهة التي يعبدها المشركون من دونه عن الإحياء في الدنيا والآخرة وأنَّ الله وحده هو القادر على ذلك كله فسبحان الله وتعالى عمّا يصفون.

الرأفة والرحمة:

تجتمع هاتان اللفظتان بالدلالة على رحمة بصورة مطلقة، حتى أنَّ بعض اللغويين فسّر إحداهما بالأخرى، قال الخليل بن أحمد (170 هـ):" الرّأفة: الرَّحْمَةُ، وقد رَؤُفَ يَرْؤُفُ رأفة، ويُقالُ: رَأَفَ يَرْأَفُ، فهو رَأْفٌ ورؤوفٌ"[21]. وكذلك فسّرها ابن سيده.[22]

وقيل: الرأفة: أخّص من الرحمة وأشدّ منها وأرق[23].

وأمَّا الرحمة فله أصل صحيح: " يدلُّ على الرّقّة والعطف والرأفة. يقال من ذلك رَحِمَه يَرْحَمُه، إذا رَقَّ له وتعطَّفَ عليه" [24].

وردت لفظتا الرأفة والرحمة متلازمتين في القرآن الكريم في أكثر من موضع، وفي أكثر من صيغة، فقد وردت في صيغة المبالغة في قوله تعالى: [وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ](البقرة 143)، وجاءت بصيغة المصدر الدالّ على المرة في قوله تعالى: [ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا](الحديد:27).

اختلف المفسّرون في تفسير اللفظتين، فقال بعضهم: الرأفة: أبلغ الرحمة وأرقها وأخصّ منها، وتقديم الرأفة على الرحمة في قوله تعالى:" رَءُوفٌ رَحِيمٌ " (التوبة: 117) هو تقديم الأبلغ في اللفظ [25].

وقيل: الرأفة هي الرحمة فهما متقاربتان[26]. وقيل: هي أعلى منازل الرحمة[27]، وأخص منها[28]. وقيل: الرَّأْفَةُ اللِّينُ، وَالرَّحْمَةُ الشَّفَقَةُ[29].

أمَّا الرَّازي فقد فرَّق بين اللَّفظتينِ على نحو دقيق وواضح، قال: إنَّ الرَّأفة مبالغة في رحمة خاصة، وهي دفع المكروه وإزالة الضَّرر، وأمَّا الرَّحمة فإنَّها اسم جامع يدخل في ذلك المعنى، ويدخل في الإفضال والإنعام، وقد سمَّى الله تعالى المطر رحمة ؛ لأنَّه إفضال من الله وإنعام، فقد ذكر الله تعالى الرَّأفة أوّلًا ليخفف عنهم المحن، ثم ذكر الرَّحمة لتكون أعمّ وأشمل[30].

مرَّ بنا أنَّ الرأفة أبلغ من الرّحمة وأخّص، وقد جمع القرآن الكريم بينهما في أكثر من سياق ليكتسب المعنى زخمًا لم يكن ليتحقّق لو جاءت كل لفظة بمفردها، فضلًا عمّا يحقّقه هذا الجمع من تأكيد للمعنى وتقوية له، وللتدرّج من الأبلغ تأكيدًا إلى الأقلّ استيفاءً لمطلب في المعنى قاد إلى الجمع بينهما والله أعلم.

العدُّ والإحصاءُ

دأب اللغويون على تفسير إحدى اللفظتين بالأخرى، فقد ذكرت كتب اللغة أنّ (العدّ) هو (الإحصاء)، والعدّ: إحصاء الشيء، تقول: عددتُ الشيء، إذا حسبته وأحصيته[31].

أمّا الإحصاء، فقد ذكر ابن فارس أنّ للحصى ثلاثة أصول: المنع والعدّ وشيء من أجزاء الأرض، وما يهمنا هو المعنى الثاني، يقال: أحصيتُ الشيء: إذا عددنه وأطقته[32].

"وأحْصَى الشيء: أحاط به"[33].

وردت لفظتا العدّ والإحصاء في قوله تعالى: [لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا](مريم: 94) أدرك المفسرون التقارب الكبير بين اللفظتين في المعنى، فراحوا يفسّرونهما مجتمعتين بالدلالة على المبالغة في الإحاطة، فقالوا في تفسير قوله تعالى:[لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا](مريم: 94)، أي: علم تفاصيلهم، فلا يخفى عليه شيء من أحوالهم، وعلم أعدادهم وأيامهم وآثارهم، كأنه حصرهم بعلمه وأحاط بهم وجعلهم تحت أمره وتدبيره وقهره وقدرته، فهو سبحانه محيط بهم[34].

يُفاد من كلام المفسّرين أنّ الفرق بين الإحصاء والعد، أنّ الإحصاء هو العلم بالشيء والإحاطة به، أما العدّ فهو حساب الشيء وحصره.

وقد أفاد الجمع بين اللفظتين معنى إحاطة علم الله سبحانه وتعالى بكل الموجودات فسبحان الله رب العالمين.

العِوَج والْأَمْت

تشترك هاتان اللفظتان بمعنى عام وهو: الميل ارتفاعًا أو انخفاضًا.

ولو تتبّعنا هاتين اللفظتين في المعجمات؛ لوجدنا أنّها أشارت إلى المعنى العام لكلا اللفظتين ثمَّ فرّقت بينهما، ولكنَّ موقف اللغويين كان متباينًا فيها.

فأمّا العِوَجُ فمعروف وهو: المَيلُ في المرئيّات كالأجسام وغيرها، وغير المرئيّات كالراي وغيره[35]. وأمّا الأَمْتُ: فقد نقل ابن فارس عن الخليل أنَّ الأَمْت والعِوَجَ واحد.[36]

وذكر بعضُ اللغويين أنَّ الأَمت يعني: الارتفاع والانخفاض.[37]

على حين فرّق سائر اللغويين بينهما، فالأَمت: المكان المرتفع. والأَمت: النِباك وهي التِلال الصغار، أو الرَّوَابِي، والأَمْت: الوَهْدَة بَين كلِّ نَشْزَيْنِ، والأَمْتُ: الطَريقةُ الحَسَنة.[38]

وردت هاتان اللفظتان مجتمعتين في قوله تعالى: [وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا" (105) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (106) لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا](طه: 105 – 107).

إنَّ مُجمَل ما ذكره اللغويون والمفسّرون أنَّ العِوَج الانخفاض والأَمت الارتفاع، ولكن عبّر كُلٌّ بطريقته.

قال الفرّاء: " الأمتُ: موضع النبك من الأرض: ما ارتفعَ منها ويُقال: مسايل الأودية".[39]

وقال الزجّاج: الأمتُ: " العِوَج في العَصَا والجَبَلِ ألا يكون مستوياً، والأَمْتُ أن يغلظ مكان،، ويدقَّ مَكانٌ"[40].
وقال أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي في تفسير العِوَج والأَمْت: " أي لا حدب فيها ولا بتك، ولا ارتفاع ولا انخفاض"[41].

وأمّا المفسّرون فقد فصّلوا في تفسير الأَمْت والعِوَج، فذكر بعضهم: أنَّ "(العِوَج) ما يعتري اعتدال الأرض من الأخذ يمنة ويسرة بحسب النشز من جبل وطرق وكدية ونحوه، و (الأَمت) ما يعتري الأرض من ارتفاع وانخفاض"[42].

وهذا خلاف ما عليه عامّة المفسّرين الذين يُفاد من أقوالهم أنَّ العِوَج الانخفاض والأَمت الارتفاع.

فقد نقلوا عن ابن عباس: أنَّ الْأَمْت الْأَثَرُ مِثْلُ الشراك، وعنه أَيْضًا" عِوَجاً" وَادِيًا" والأمْت الرَابِيَة. وَعَنْهُ أيضا: العوج [الانخفاض وَالْأَمْتُ الِارْتِفَاعُ.

وَقَالَ قَتَادَةُ:" عِوَجاً" صَدْعًا. (وَلا أَمْتاً) أَيْ أَكَمَةً. وَقَالَ يَمَانٌ: الْأَمْتُ الشُّقُوقُ فِي الْأَرْضِ. وَقِيلَ: الْأَمْتُ أَنْ يَغْلُظَ مَكَانٌ فِي الْفَضَاءِ أَوِ الْجَبَلِ وَيَدِقَّ فِي مَكَانٍ[43].

وانتفاء العِوَج والأَمْت عن الأرض معناه: أنَّها تبلُغُ الغايةَ في الاستواء ليس للناظرين فحسب، بل يتحقق ذلك حتى في أدقّ القياسات الهندسية[44]، فتبارك الله الخلّاق العظيم.

ومن هذا نتبيّن كيف أنَّ اجتماع اللفظين أسهم في بيان الصورة التي قصدها التنزيل العزيز، في بلوغ الغاية من التعبير عن المعنى الذي أراده الله في كتابه، فسبحان الله العليم الخبير.

الخاتمة

بعد أن منَّ الله سبحانه وتعالى عليَّ بإتمام هذا البحث؛ سأجمل في ما يأتي أهمّ النتائج التي تمخّضت عنه:

1/ اشتمل القرآنُ الكريمُ على ألفاظ متقاربة في المعنى إلى الحد الذي يجعل اللغويين يفسّرون كل لفظة بالأخرى بما يُشعر أنَّ هذه الألفاظ شديدة التقارب في الدلالة.

2/ تكفّل القرآن الكريم بالتفريق بين معاني هذه الألفاظ بما يقتضيه سياقها مما يدل على أنها غير مترادفة ولكن ثمة فرقًا دلاليًا بين هذه الألفاظ يكشفه السياق القرآني.

3/ بلغ الاستعمال القرآني الغاية في وضع الألفاظ في موضعها الصحيح بحسب ما يقتضيه معنى الآية الكريمة مراعيًا الفروق الدلالية بين كل لفظين من هذه الألفاظ، والحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

1- يُنظر مادة (وهن) في العين: 4/ 92، تهذيب اللغة: 234/6

2- ينظر مادة (ضعف) في: التاج:1390/4، مقاييس اللغة: 362/3.

3- ينظر مادة (سكن) في: الغريبين في القرآن والحديث: 912/4، لسان العرب: 218/13،

4- ينظر: الكشاف: 424/1، إرشاد العقل السليم 96/2

5- ينظر: المحرر الوجيز: 518/1

6- ينظر: معاني القرآن وإعرابه: 476/1 ، التفسير البسيط:57/56/6،

7- ينظر: التفسير الكبير: 381/9

8 – ينظر: مادة(نسب) في الصحاح:224/1، المحكم والمحيط الأعظم: 529/8

9 – ينظر مادة (صهر)في العين: 3/ 412/411، مقاييس اللغة: 315/3

10 – المحرر الوجيز: 214/4

11 – يُنظر الجامع لأحكام القرآن: 60/13

12 – الجامع لأحكام القرآن 60/13،

13 – المحرر الوجيز 215/4

14 – معاني القرآن 270/2،

15 – ينظر: معاني القرآن وإعرابه: 73/4، المفردات في غريب القرآن: 494، النهاية في غريب الحديث والأثر: 63/3، روح المعاني: 35/10

16 – مادة (حيا): الصحاح : 1 / 159 ، مقاييس اللغة: 1 / 97 ، والمحكم والمحيط الأعظم: 2 / 53

17 – ينظر: مادة (نشر): العين: 2 / 4 ، مقاييس اللغة: 5 /345

18 ينظر: تفسير القرطبي: 295/3

19 – ينظر: التبيان في تفسير القرآن: 7 / 462، المحرر الوجيز: 5 / 95 ، مجمع البيان: 7 / 252 ، تفسير البغوي: 6/ 72.

20 – ينظر:التفسير الكبير: 432/14

21 – العين مادة (رأف): 2/ 176
22– ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: 10/ 282،
23 – ينظر مادة (رأف): الصحاح: 4 / 2362 ، مقاييس اللغة: 2 / 371 ، ولسان العرب: 9 / 112
24 – مقاييس اللغة مادة (رحم): 2 / 498
25 – ينظر: الفروق اللغوية: 246، زاد المسير: 120/1
26 – ينظر: المفردات : 275، البحر المحيط: 7/1
27 – ينظر: المحرر الوجيز: 1 / 166
28 – ينظر الدر المصون: 1 / 564
29 يُنظر: تفسير القرطبي: 262/17
30 – ينظر: التفسير الكبير: 93/4
31 – ينظر مادة (عدّ): العين: 9/1 ، الصحاح: 505/2، مقاييس اللغة: 29/4.
32 – ينظر: مقاييس اللغة مادة (حصى): 2 / 70/69
33 – المحكم والمحيط الأعظم ، مادة (حصي): 3 / 421
34 – ينظر: التبيان في تفسير القرآن: 7/ 153، الكشاف: 4/ 123، مجمع البيان: 405/6 ،التفسير الكبير: 21/ 567
35– ينظر: لسان العرب: 332/3
36– ينظر: مقاييس اللغة: 137/1، ولم أجد ذلك في العين، ينظر العين: 141/8
37– ينظر: تاج العروس: 426/4
38– يُنظر: مادّة (أمت) في: التاج: 241/1، التكملة والذيل والصلاة: 298/1، تاج العروس: 4/ 426/425،
39– معاني القرآن: 291/2
40– معاني القرآن وإعرابه: 377/3
41– الغريبين في القرآن والحديث: 100/1
42– المحرر الوجيز: 64/4
43– يُنظر: تفسير القرطبي: 246/11، زاد المسير: 176/3، البحر المحيط: 383/7،
44– يُنظر: الكشاف 88/3.

المصادر والمراجع

_ القرآن الكريم

_ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: 982هـ) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

_ البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل ، دار الفكر – بيروت ، الطبعة: 1420 هـ.

_ تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ، أبو الفيض ، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (ت:1205هـ) حققه مجموعة من المحققين،،طبعة دار الهداية.

_ التَّفْسِيرُ البَسِيْط: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: 468هـ) ، أصل تحقيقه في (15) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه،

عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ.

_ التفسير الكبير = مفاتيح الغيب: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: 606هـ)،: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1420هـ.

_ التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية: الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني (المتوفى: 650 هـ).

_ تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي ، أبو منصور (ت: 370هـ)،

تحقيق: محمد عوض مرعب،،: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م.

_ الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ) ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش: دار الكتب المصرية – القاهرة،،الطبعة: الثانية، 1384هـ – 1964 م.

_ جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: 321هـ) ، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، 1987م.

_ لتبيان في تفسير القرآن: شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت460هـ)، قدم له الشيخ آغا بزرك الطهراني، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، د.ط.

_ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت756هـ) ، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط ، دار القلم، دمشق،.

_ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: 1270هـ) ، تحقيق: علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية بيروت،،الطبعة: الأولى، 1415 هـ.

_ زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: 597هـ) ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة: الأولى 1422 هـ.

_ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: 393هـ)تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين – بيروت ، الطبعة: الرابعة 1407 هـ – 1987 م.

_ العين: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، (ت: 175هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، 1980-1985م.

_ الغريبين في القرآن والحديث: أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي (ت401 هـ) ، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي ، قدم له وراجعه: أ. د. فتحي حجازي، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية،،الطبعة: الأولى، 1419 هـ – 1999 م.

_ القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: 817هـ)،تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ، الطبعة: الثامنة، 1426 هـ – 2005 م.

_ الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو 395هـ) ، تحقيق: محمد إبراهيم سليم ، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة مصر.

_ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ): دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة – 1407 هـ.

_ لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل ، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي (ت: 711هـ): دار صادر – بيروت ، الطبعة: الثالثة – 1414 هـ.

_ مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت548هـ)، تحقيق هاشم الرسولي المحلاتي، دار المعرفة للطباعة والنشر.

_ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد: دار الكتب العلمية – بيروت،،الطبعة: الأولى – 1422 هـ.

_ المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: 458هـ) تحقيق: عبد الحميد هنداوي: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى ، 1421 هـ – 2000 م.

_ معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت: 207هـ)، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل شلبي، الدار المصرية للتأليف والترجمة – مصر،الطبعة:الأولى،1955–1972.م

_ معاني القرآن وأعرابه: الزجاج ، أبو إسحاق إبراهيم بن السري ، (ت: 311هـ)، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت ، 1988م.

_ المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، ابو القاسم الحسين بن محمد، (ت: 502هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داودي: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت،،الطبعة: الأولى – 1412 هـ.

_ مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي ، أبو الحسين (ت: 395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ/1979م.

_ النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري: 606هـ) تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، عيسى البابي الحلبي، مصر 1963-1965م.